

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات

1671م – 1830م

Privileges of scholars and Almoravids in west baylak since deys age

محمد شباح ، لعباسي محمد

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، (الجزائر) chebbahmed92@gmail.com

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 29-12-2021 تاريخ القبول: 24-05-2023 تاريخ النشر: 16-06-2023

ملخص: كان للعلماء وشيوخ القبائل والمرابطين ببائلك الغرب الجزائري كلمة مسموعة واحترام تام لدى القبائل التابعة للسلطة والمعادية لها على حد السواء، ومن هذا المنطلق تمتع الكثير من العلماء والشيوخ والمرابطين بامتيازات عديدة، معنوية ومادية مقابل خدماتهم للسلطة وحيادهم في الأمور السياسية للدولة ، فعملوا على تعزيز الاتصال بهم، وتقديم الاحترام لهم، حيث تقلد الكثير من العلماء مناصب هامة كالفتيا والقضاء والإمامة والخطابة، مقابل رواتب شهرية معتبرة، كما أعفي الكثير من العلماء والمرابطين وشيوخ القبائل من دفع الضرائب بموجب مراسيم من الدايات، ومنح الكثير منهم أراض واسعة يستغلونها للزراعة والرعي، واهتمت السلطة العثمانية بالعلماء فبنت لهم المدارس والمساجد والنوايا وشجعتهم على التأليف والكتابة، وتواصل هذا الاهتمام بعد وفاتهم حيث أقامت لمرابطتهم وأوليائهم الأضرحة والقباب وأجرت عليهم أوقافا عديدة وأموالا كثيرة، خاصة في عهد الباي محمد الكبير.

الكلمات المفتاحية: . الضريح؛ الأولياء؛ البايك؛ الدايات

Abstract : The scholars, sheikhs, and sheikhs of "Baylak," in the West of Algeria, had a voice and full respect for both the tribes of power and their enemies, In this sense, many scholars, cheiks and enjoyed many privileges, both moral and material, in return for their services to the Authority and their neutrality in the political affairs of the State. They worked to strengthen communication and respect for them. Where many scholars have held important positions such as fatwas, judges, imams, and preachers in exchange for significant monthly salaries.

محمد شباح ، لعباسي محمد

Many scholars, murabitans and tribal sheikhs were exempted from paying taxes under decrees. Many of them granted extensive land for agriculture and grazing. The Ottoman authorities took care of the scholars, built them schools and mosques and encouraged them to write, and continued this interest after their death, where they set up their famous scientists statues to remember them ,And made them many "waqfs" and many funds, especially in the era of the" great Bey Mohamed".

Keywords: baylek ; scholars; deys

المؤلف المرسل: محمد شباح، الإيميل: chebbahmed92@gmail.com

مقدمة:

إن دراسة تاريخ الحكم العثماني في الجزائر لا ينحصر في العلاقات السياسية والنشاطات العسكرية والنظم الإدارية والمالية فقط، بل لابد من الاهتمام بمظاهر الحياة الاجتماعية والعلاقات الداخلية بين أفراد المجتمع، أو بين السلطة ورعيتهما.

وإننا في هذا البحث نحاول تسليط الضوء على علاقة السلطة العثمانية في بايلك الغرب الجزائري بعلماء وأولياء المنطقة خلال عهد الدايات 1671م/1830م من خلال ما ناله هؤلاء من امتيازات لم يحظ بها غيرهم، ونستوضح نتائج هذه العلاقة في المجال الاجتماعي والثقافي، خاصة الفترة التي تلت تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني، وبما أن علاقة السلطة بالعلماء في هذه الفترة قد تأرجحت بين التقارب تارة والتنافر تارة أخرى، فإننا نطرح إشكالية تتمثل في التساؤلات التالية:

- هل كان الدافع إلى هذه الامتيازات هو فقط محاولة السيطرة على سكان البايك عن طريق أعيانها وأوليائها؟ أم أن ذلك ناتج عن حسن نية وطبيعة السلطة، وتشجيعها للعلماء واحترام مكانتهم في صفوف المجتمع؟

- هل كانت فترة التقارب أكثر طولا أم العكس؟

- هل كانت هذه الامتيازات ذات منفعة عامة أم فردية اقتصر على العلماء فقط؟

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي والتحليلي من خلال المعطيات الواردة في الوثائق والمصادر التاريخية، وتحليلها للوصول إلى استنتاجات مقارنة توضح الاشكاليات المطروحة.

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

تميزت العلاقة بين العثمانيين والعلماء في بايلك الغرب الجزائري بالاحترام و المودة والتعاون تارة، وبالعداوة والكراهية تارة أخرى حسب الأحوال والظروف السياسية التي مرت بها البلاد، فكان نصيب العلماء المتعاونين مع السلطة الإكرام والاحترام، وتقديم الأموال والهدايا والتعيين في المناصب والإعفاء من الضرائب وغيرها من الامتيازات، أما العلماء المعارضون للسلطة فكان نصيبهم السجن والقتل والإهانة، ويذكر محمد الصباغ أن أول اتصال بين العثمانيين والعلماء في الجزائر كان ذلك اللقاء الذي جمع بين بابا عروج بالشيخ أحمد بن يوسف الملياني سنة 1517م على شاطئ البحر غرب مدينة وهران، حيث أظهر بابا عروج ولاءه واحترامه للشيخ. (الصباغ، ب ت، ص 17)

يقول أبو القاسم سعد الله: "أدرك العثمانيون - منذ دخولهم إلى الجزائر - مدى نفوذ العلماء والمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية، حيث أن معظم السكان تحت سيطرتهم، فعملوا على تعزيز الاتصال بهم، وتقديم الامتيازات لهم، وإظهار الاحترام للزوايا والأضرحة وجعلها ملاذا للفارين (سعد الله، 1998، ص 464)، حيث كان العلماء والأشراف خير سند لهم في حربهم ضد الإسبان والتي دامت أكثر من ثلاثمئة سنة، ولعل لـتعلق العثمانيين بالعلماء - ومحاولة استمالتهم - أسبابا وجيهة، فقد أيقنوا عند دخولهم الجزائر أنها أرض جهاد، بعد تعرض سواحلها - شرقا وغربا - إلى الغزو الإسباني، وخير معين على تعبئة القبائل لهذا الجهاد هم العلماء والأشراف الذين يملكون مكانة خاصة لدى عامة الشعب الجزائري، كما أن للعلماء وشيوخ القبائل كلمة مسموعة واحترام تام لدى القبائل المعادية للسلطة، ومن هذا المنطلق تمتع الكثير من العلماء والشيوخ والمرابطين بامتيازات عديدة، معنوية ومادية مقابل خدماتهم للسلطة وحيادهم في الأمور السياسية للدولة. (شدرى، 2006، ص 103)

ولم تكن السلطة العثمانية تعامل العلماء كمعاملتها لسائر الناس بل كانوا يستشيرونهم ويشركونهم في المعارك والمفاوضات، وهذا مقابل الإغداق عليهم بامتيازات مختلفة، ويتم تعيينهم في المناصب والوظائف، ويننون لهم المساجد والمدارس ويعفونهم من الضرائب، ويقطعونهم الأراضي والعقارات، كل هذا

محمد شباح ، لعباسي محمد

في حياتهم، ويستمر هذا التكريم بعد مماتهم ببناء القباب والأضرحة، ويدل هذا على مدى تأثر العثمانيين بالطرق الصوفية التي انتشرت في الجزائر، وكمثال على ذلك فقد كان الباي محمد الكبير - أشهر بايات الجزائر العثمانية - مريدا للشيخ مصطفى بن المختار الغريسي، جد الأمير عبد القادر، (بودريالة، 2018، ص142) .

ويعتبر الباي محمد الكبير من أبرز الشخصيات في العهد العثماني خاصة ببابلك الغرب الجزائري، وهو محمد بن عثمان الكردي، ويسمى محمد الأكحل (المدني، 1986، ص140) أو الكبير، كنيته أبو عثمان، أبوه إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي، كان خليفة على ناحية مليانة، ثم بايا على التيطري و ضواحيها.

نشأ محمد الكبير تحت رعاية إبراهيم باي بعد وفاة أبيه بمعسكر (الطمار، 1983، ص253)، اتسم بالشجاعة والصدق والذكاء، عينه الباي ابراهيم قائدا على **فليته سنة 1775م**، ثم أصبح خليفة للباي،، ليعين بعد ذلك بايا على بابلك الغرب بعد وفاة الباي خليل.

كان محمد الكبير محبا للعلماء والصلحاء يحسن معاملة العبيد، ويجهز الأدوية للمرضى بنفسه، ويرسل كل سنة هدية للحرمين الشريفين، اهتم ببناء المساجد والمدارس، ومن أشهرها المدرسة المحمدية بمعسكر (ابن هطال، (ابن هطال، 1966، ص35) وجهازها بكافة الوسائل التعليمية، وبنى الجامع الأعظم بوهرا (بوجلal، 2016، ص203) كما شجع الحركة العلمية في عهده، واهتم بالوقف الذي كان له دور أساسي في استمرارية المؤسسات التعليمية، وشاعت حركة النسخ والتأليف في عهده، ولعل أهم إنجازاته فتح وهران وتحريرها من الاسبان سنة 1792م.

توفي الباي محمد الكبير في ذو القعدة سنة 1213هـ / 1896م ببلاد صبيح عقب عودته من الجزائر (بوعزيز، 2009، ص213) ودفن بمدرسة خنق النطاح بوهرا (المزاري، 1990، ص297) . وسيتم التطرق في هذا البحث لأهم الامتيازات التي حصل عليها العلماء والأولياء في عهد الدايات ببابلك الغرب الجزائري، و منها:

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

1- المناصب والوظائف:

تبوأ الكثير من العلماء في بايلك الغرب الجزائري مناصب مهمة، منها مناصب دينية كالفتيا والقضاء والإمامة والخطابة، وأخرى سياسية كخوجة البايك والمستشارين والكتاب، وخرج من بين صفوفهم صغار الموظفين ومتوسطوهم، (سعيدوني، 2012، ص155) كما كان لبعض العائلات العلمية مناصب دينية هامة، ومثال ذلك أسرة الكتروسي التي اشتهرت بعلمائها وشيوخها الذين تلقوا دعما كبيرا من طرف بايات الغرب الجزائري، فتم تعيين العديد من أفرادها في مناصب دينية هامة، فمن خلال بعض الظهائر العثمانية التي تضمنت تعيينات لأفراد من عائلة كتروسي بمدينة مازونة (لعباسي، 2018، ص93) يتبين لنا بعض الامتيازات التي حظي بها أفراد هذه العائلة حيث تم تعيينهم في مناصب القضاء والفتيا والإمامة والخطابة، وكمثال على ذلك فقد تضمنت إحدى هذه الوثائق تعيين السيد: أحمد بن خدة بن علي الكتروسي مفتيا و إماما بمازونة، ومكلفا بأحباسها سنة 1080 هـ / 1669م بمازونة، وفي وثيقة ثانية: تم تولية الشيخ محمد بن المهدي مفتيا وخطيبا بمازونة سنة 1212 هـ/ 1795م، ووثيقة أخرى تتضمن تعيين فردين من عائلة كتروسي بمازونة أحدهما قاضيا والآخر مفتيا عام 1215هـ/ 1798م . (لعباسي، 2018 ص94)

وكان والد أحمد بن سحنون صاحب كتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " قاضيا للقضاء في معسكر، وكان ملازما في بلاط الباي محمد الكبير، وتولى وظيفة الكتابة له مدة 17 سنة من سنة 1779م إلى سنة 1796م (لزغم، ب ت، ص137) ، وعين الباي محمد الكبير الشيخ محمد الموفق المعروف بأبي الجلال لإدارة مدرسته المحمدية التي بناها قرب مسجده بمدينة معسكر، ثم عينه رئيسا للرباط بجبل المائدة بوهران ، وتولى أحمد التهامي منصب الإفتاء بمدينة وهران، وكان متزوجا بأخت محي الدين والد الأمير عبد القادر (بوعزيز، 1995، ص247)، وشغل أحمد بن هطال التلمساني عدة مناصب سياسية في بايلك الغرب، إضافة إلى عمله كمستشار للباي محمد الكبير وكتابه الخاص والمبعوث له في عدة قضايا ومهام خارجية (سعيدوني، 2012، ص448)، وشغل الحاج محمد بلخروي منصب الكاتب

محمد شباح ، لعباسي محمد

عند الباي حسن، (بوركبة، 2018، ص32) كما تولى الشيخ سيدي الطيب بن عبد الرحمن - وهو من شيوخ العربي المشرفي - القضاء في عهد الباي حسن آخر بايات وهران (بودريالة ن، ص142)، وكذلك تولى الشيخ أحمد التهامي - أحد أعلام الراشدية - الإفتاء والتدريس بجامعة وهران الأعظم، (بودريالة، 2018، ص141) وقد نقل الباي محمد الكبير الشيخ محمد الطاهر المشرفي إلى وهران بعد الفتح فتولى منصب الإفتاء والقضاء والتدريس بمرتبة شهري بقيمة 60 دينارا ذهبيا. (بودريالة، 2018، ص143) ومن خلال وثيقة مؤرخة ما بين 1811-1813 م نجد الأجرة الشهرية لكل من:

- المفتي الحنفي 34 ريال. (بوركبة، 2003، ص35)

- المفتي المالكي 20 ريال.

- القاضي الحنفي 25 ريال.

- القاضي المالكي 10 ريالات. (شدري، 2006، ص103)

وما يُلاحظ في هذه الوثيقة أفضلية المفتي الحنفي على المالكي والقاضي الحنفي على المالكي، وربما يرجع ذلك إلى أن المذهب الحنفي هو مذهب رجال الدولة، أو أن أغلب رجاله من الأتراك، لأن أغلب علماء الجزائر أوكلهم كانوا مالكية أبا عن جد، ففي إحدى الفقرات الواردة في دفتر التشريفات ورد أن المفتي الحنفي كان يتقاضى ثمانين صائمة شهريا، والمفتي والقاضي المالكي كانا يتقاضيان خمسين صائمة فقط، بينما رئيس الشرفاء لا يتقاضى سوى ثلاثين صائمة (سعيدوني، 2012، ص155)، وقد ورد في سجلات البياليك أن أصحاب الوظائف الدينية كانوا يتفاوتون في المرتبات الشهرية، فالخطيب له 5-15 ريالا، والمدرس يتسلم 7-25 ريالا، والإمام يتقاضى 1-5 ريالا، والحزاب لا يتعدى أجره نصف ريال. (سعيدوني، 2000، ص155)

وكان الباي محمد الكبير أول من خصص للعلماء والمدرسين مرتبات من الوقف، حيث يقول ابن سحنون: "أنه رتب للمدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا لخطبة أو مستعملا لخدمة" (الراشدي، 1973، ص133) كما

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

كان يوزع على العلماء المال في المواسم والأعياد (سعد الله، 2000، ص464) ويشترى مؤلفاتهم، حيث يقول ابن سحنون: "وكم من تأليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به وافر بره"، (الراشدي، 1973، ص135) وعندما أمر الباي محمد الكبير بمنع التدريس في الحضر والبدو، واقتصر على التدريس في الرباطات حافظ على أجرة من كان مدرسا كاملة إذا التحق بالرباط. (بوشنافي، 2011، ص89)

1- الإعفاء من الضرائب:

فرضت السلطة العثمانية الضرائب المتعددة على السكان لحاجتها إلى تدعيم خزينتها بعد أن تقلصت المداحيل التي كانت تأتي من الأسطول البحري للدولة، ولكن في مقابل ذلك أعفي الكثير من العلماء والمرابطين وشيوخ القبائل، من دفع هذه الضرائب لما لهم من سلطة معنوية وروحية على السكان والقبائل، ولحاجة السلطة إليهم في تحقيق الانضباط والاستقرار السياسي، ومثلا عن ذلك، فقد أعفي ابن شعاعة وهو أحد أحفاد الشيخ الملياني من الضرائب ومنحت له أرضا كوقف له (Boudin, 1930, p77)

ويذكر توفيق دحماني أن الزوايا والطرق والأشراف كانوا في غالب الأوقات معفيين من الضرائب منذ التواجد العثماني في الجزائر، فقد صدر بذلك أمر بإعفاء الزوايا والطرق والمرابطين سنة 1695م في عهد الباي أحمد في بايلك الغرب، حيث أعفي مرابطو أولاد منصور (بلبروات، 2011، ص75) بعين الحوت غير بعيد عن تلمسان من كل الواجبات المخزنية، بل ويفرض على الناس احترامهم، ثم جدد لهم ذلك عام 1772م في عهد الداوي علي شاوش (دحماني، 2007، ص141).

كانت هذه الإعفاءات تأتي غالبا على شكل فرمانات سواء من الباشوات أو من الدايات (سعيدوني ن، من التراث، 2000، ص448)، فقد جاء في وثيقة محررة سنة 1235هـ- 1822م من طرف الداوي حسين ما يلي: "...فقد اتفق أمرنا الرشيد على أننا قد أنعمنا على السادات الأبرار، والعلماء الأخيار، الفقيه الأجل التقي الأفضل، التالي كتاب الله عز وجل، سيدي محمد بن زينب، وسيدي العربي، وسيدي الهواري، وسيدي عابد، وكافة أولاد سيدي عبد الوهاب....وقد حررناهم - أي

محمد شباح ، لعباسي محمد

رفعنا عنهم أمر المطالب المخزنية قليلها وجليلها عليهم وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم "(شدري، 2006، ص103)، وكان أولاد سيدي الشيخ لا يدفعون سوى ستة فرنكات على كل حمولة جمل(Boudia, 1930, p365)، أما شرفاء الشهرة وأولاد عريبي فكانت تخدمهم عرب سويد، ويحفظون بقسم من أموال الضرائب، وتعظمهم ملوك الأتراك جيلا بعد جيل، وكان الأحرار بمنطقة السرسو يدفعون ضريبة للسلطة مقسمة على سبعة أقسام، قسم أولاد زيان، وقسم الغوادي، وقسم أولاد عزيز، وقسم أولاد بوغنيف، وقسم الكعابرة، والدهالسة، وقسم الشاوية والحسينات، وقسم أولاد الزاوي وأولاد بلحصين، بعد أن قرروا ألا يدفع سادتها أولاد سيدي خالد شيئا من هذه الضريبة رغم أنهم كانوا يقيمون في نفس المنطقة.(Boyer,1966, p284)

2- المصاهرة :

كانت المصاهرة إحدى مظاهر التقارب بين السلطة العثمانية والعلماء، خاصة المرابطين، و لعل المستفيد الأكبر من هذه المصاهرة هم الحكام العثمانيون لأنهم بذلك ينالون الاحترام والتقدير من عامة الناس، لأنهم قد أصبحوا أفرادا من عائلات المرابطين والعلماء والأشراف، والشرف قد يتعدى بسبب المصاهرة، مما ينتج عنه بسط للنفوذ وسيطرة أسهل على القبائل، ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن العلماء والأشراف قد استفادوا من هذه المصاهرة ولو بصفة معنوية، بالتقرب أكثر من رجال السلطة، ونيل المكانة السامية في المجتمع، من أجل ذلك عمد الكثير من الحكام إلى مصاهرة العلماء والمرابطين لبسط نفوذهم على البايك، وإحلال الأمن والاستقرار، فقد تزوج الداوي حسين بإحدى حفيدات سيدي أحمد بن يوسف الملياني(سعد الله، 1998، ص284)، وتزوج المرابط سيدي مالك البركاني من ابنة قائد شرشال، كما تصاهر الباوي محمد المقلش مع الشيخ قدور بن الصحراوي.(شدري، 2006، ص122)

3- بناء الأضرحة والمساجد والقباب:

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

كان بناء القباب والأضرحة مشهورا في العهد العثماني، وقد ساهم الحكام في تشييدها بشكل كبير كسبا لود الأشراف والمرابطين وعائلاتهم، وكان ذلك يحدث في حياتهم وبعد وفاتهم في كثير من الأحيان، فقد بذل العثمانيون جهودهم للحفاظ على ذكرى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني، واستغلوا أحفاده للمساهمة في بسط نفوذهم على القبائل، فشيّدوا على قبره ضريحاً ومسجداً فاخرين بناهما أحد حفدته من مال الباي محمد الكبير ويسمى الخلادي، (حاج صدوق، 1964، ص108) ولا يزال هذا الصرح المعماري قائماً إلى يومنا هذا بمدينة مليانة، ويستقبل الكثير من الزوار طيلة السنة، وشيّد المرسلي - قائد رماة الباي محمد الكبير - ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي في قمة جبل مرجاجو وفاء للنذر الذي قطعه على نفسه فيما إذا تم تحرير وهران من الإسبان (يحيى، ب ت)، كما قام الأتراك بتشييد وترميم بعض المساجد والأضرحة بتلمسان مثل مسجد وضريح سيدي بومدين بالعباد، ومسجد سيدي اليدون وضريحين بقرية عين الحوت إجلالاً للرجلين الصالحين سيدي عبد الله بن منصور وسيدي محمد بن علي (عتو)، ويظهر ذلك التقديس والإجلال للأولياء في تلك الكتابات الجدارية التي تعبر عن مدى الاحترام والتوقير لصاحب الضريح، وكمثال على ذلك يمكننا أن نقرأ على بوابة مسجد سيدي بومدين ما يلي: "الحمد لله، أمر بتنميق هذه الروضة المباركة المشتملة على ضريح سيدي بومدين أدركنا الله برضاه، الأمير عبد الله السيد محمد باي أيده الله بنصره وجعل الجنة منزلته، عام ثمانية ومائتين وألف، أنظر إلى الدر الأنيق تراه في جيد رشيق نظمه فتى عشيق، الهاشمي صرمشيق" (Brosslard, 1859, p87) وكان للقباب والأضرحة أنواع وأشكال بحسب مكانة العالم أو المرابط المدفون في هذا الضريح، فإذا كانت شهرته لا تتعدى الريف الذي يسكن فيه، بني على قبره سور منخفض ورفعت في وسطه راية بيضاء أو قطعة قماش، أما إذا كان للشخص تأثير كبير وشهرة أوسع بنيت فوق قبره قبة بيضاء، أما الولي المشهور الذي نال قدراً كبيراً من التعظيم والإجلال، فزيادة على بناء الضريح يشيّد مسجد حوله له أسوار يحرسها قيم، (دودو، 1989، ص136) وقد نالت هذه الأضرحة امتيازات روحية واحتراماً كبيراً من طرف الحكام حتى أصبحت ملجأً للفارين لا يستطيع رجال الحكومة تعقبهم لوقارة المكان، (بن صحراوي،

محمد شباح ، لعباسي محمد

2012، (ص 283) وكمثال على ذلك فقد عفا البايع عثمان بن إبراهيم عن أصحاب وأبناء البايع بوشلاغم- الذين حاولوا قتله- حين فروا إلى ضريح سيدي محمد بن عودة الذي بناه البايع محمد الكبير، وهو ضريح مشهور بنواحي غليزان، كما أوصى البايع محمد المقلش بعدم التعرض لمن فر إلى هذا الضريح، (شدرى، 2006، ص 105) كما نالت زاوية الشيخ محي الدين بالقيطنة - بنواحي معسكر- احتراماً وتقديراً من طرف البايع، جعل عائلة الدرقاوي الذي ثار على السلطة تلجأ إليها مستجيبة بالشيخ، حتى نالت العفو إكراماً له وحفظاً لدمته. (شدرى، 2006، ص 106)

قامت السلطات العثمانية بمكافأة العلماء، فبنت لهم المدارس والمساجد وجعلت لها أوقافاً خاصة، وأنفقت عليها أموالاً كثيرة، ولعلنا نلاحظ بوضوح هذه الامتيازات بصفة كبيرة بعد تحرير وهران من الإسبان، فنظراً للجهود التي قام بها الشيخ أبو طالب محمد بن علي -المعروف بابن الشارف المازوني- في الجهاد ضد الإسبان قامت السلطات العثمانية بتوسيع مدرسته بمازونة- التي عرفت بعلمائها وكثرة طلبتها- فبنت بيوتها ومساجدها، كما أسس البايع محمد الكبير - ت 1799م- مدارس بمستغانم ووهران، وجدد مدرسة تلمسان، و دعم كثيراً المدرسة المحمدية بمعسكر، وقام بإصلاح مساجد الجمعة بها، وكان يشتري الكتب ويوقفها على الطلبة، والمخطوطات النفيسة ويهديها للمدارس والعلماء،(ابن هطال، 1996، ص 26) ووضع للشيخ أبي راس الناصري كرسيًا ليستعين به على الدرس، حيث كان يجتمع عنده 780 طالباً،(لزغم، ب ت، ص 137) وقد عرف عن البايع محمد الكبير حبه للعلم والعلماء، وحثه إياهم على الكتابة والتدريس، فقد ازدهرت في عهده الحياة الفكرية والعلمية رغم انشغاله في فترات متعددة بحروبه ضد الإسبان .

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

من الامتيازات التي حظي بها العلماء والأشراف - سواء على المستوى الشخصي، أو على مستوى القبيلة - امتلاكهم للأراضي الشاسعة التي كانت تدر عليهم أرباحا طائلة من خلال منتوجها السنوي، حيث يقول نصر الدين سعيدوني: "أما أراضي بايلك الغرب فقد قسمت بين الباي والأشراف والقياد بالمناطق القريبة من السلطة" (سعيدوني/البوعبدلي، 1984، ص108)، وقد ذكرنا سابقا أن بن شعاعة قد منحت له أرض كوقف له زيادة على إعفائه من الضرائب، ويذكر مراد بودية أن العثمانيون قدموا أموالا هامة وهدايا مختلفة للعلماء واقتطعوا لهم الأراضي، وخاصة شيوخ الطريقة القادرية الذين منحت لهم أراض شاسعة نتيجة لانتشارها وكثرة أتباعها، فقد كانت أكبر مراكزها وزواياها قرية من المغرب الأقصى (شدرى، 2006، ص120)، وامتلك القبائل المرابطية حوالي 2000 هكتار من أجود أراضي الظهرة والونشريس، مثل أولاد سيدي عمار، وعبد الصدوق، بالظهرة، وعائلي الآغا سي شادلي، والآغا بلحاج بالونشريس. (سلطانة، 2010، ص70)

5-الأوقاف:

تميز العهد العثماني في الجزائر بكثرة الأوقاف ووفرة مداخيلها، فأنشأت السلطة مجلس الأوقاف الذي يقوم بتعيين مصارف أموال الوقف، وتكتب جرائد فيها أسماء ذوي الحاجات من العلماء والفقراء والمساكين، كما كانت تعطى من هذه الأموال للحزابة، وهم الطلبة الذين يقرؤون القرآن بصفة منتظمة في المساجد (بوسعيد، 2011، ص30)، وقد كان للعلماء منها نصيب وافر، فقد أمكن مردودها من الإنفاق على القائمين بشؤون العبادة والتعليم من أئمة ومدرسين وطلبة (هلايلي، 2008، ص196)، كما كان للعلماء أراض وقفية يسيرونها ويشرفون عليها، خاصة الزوايا والمدارس القرآنية وما أحاط بها من قطع أرضية وبساتين.

بالإضافة إلى ما سبق، يجدر بنا الإشارة -زيادة على ما قدمه الباي محمد الكبير للعلماء من أموال وهدايا - إلى تشجيعه للعلماء على الكتابة والتأليف، فبعد فتحه لمدينة وهران وطرده للإسبان كلف

محمد شباح ، لعباسي محمد

كاتبه بن زرفة الدحاوي بتدوين حوادث هذا الفتح، فألف هذا الأخير كتابا سماه: "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" أتمه سنة 1791م-1792م(المزاري، 1990، ص13)، ولا شك أنه أجزل له عطاء جيدا على تأليفه هذا، كما منح الباي محمد الكبير 100 دينار ذهبيا لابن سحنون الراشدي حين لخص له كتاب الأغاني، و 50 دينارا لأنه جمع له "عقود المحاسن" و"شرح العقيدة"، ومنح 50 دينارا للشاعر بن علال الذي مدحه بقصيدة عن إحدى غزواته(المدني، 1986، ص141)، وبذلك نرى أن فترة الباي محمد الكبير كانت فترة نشاط ثقافي وفكري، نال فيها العلماء الكثير من الدعم والتأييد والاحترام وكانت لهم مكانة عظيمة لدى السلطة العثمانية، فظهرت في عهده تأليف عديدة ساهمت بشكل كبير في التأريخ لعهد الدايات في بايلك الغرب الجزائري، وظروف تحرير مدينة وهران من الغزو الإسباني، ونجد ذلك واضحا في كتب أبي راس الناصري وابن هطال التلمساني، وابن سحنون الراشدي وغيرهم من العلماء والكتاب

الخاتمة: إن الاهتمام الكبير الذي أولته السلطة العثمانية للعلماء وإكرامها لهم وتقربها منهم،

يمكن أن نعتبره محاولة لتثبيت الحكم والسيطرة على القبائل، ولكننا لا يجب أن ننسى أن حب العلم والعلماء كان أمرا معروفا لدى السلاطين العثمانيين قبل دخولهم إلى الجزائر، وأن الطابع الديني الصوفي للدولة العثمانية يتشابه بشكل كبير مع ما كان سائدا في بلادنا من التصوف والزهد وحب الأولياء الصالحين، واحترامهم وتقديرهم والتبرك بآثارهم، ونستطيع القول أن الامتيازات التي نالها العلماء والأولياء والمرابطين، قد تعدت منفعتها للقبائل التي ينتمون إليها مما جعلها تنعم بالأمن والاستقرار في كثير من مراحل الحكم العثماني، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى مزيد الاهتمام بموضوع العلاقة بين السلطة العثمانية والطبقات الشعبية بالجزائر، وإعادة الاعتبار للشواهد التاريخية كالمساجد والأضرحة التي تساعد بشكل كبير على فهم ظاهرة التقارب بين السلطة والمجتمع خاصة ببailك الغرب الجزائري لخصوصيته واختلافه عن البايلىكات الأخرى لكونه كان مسرحا لأحداث تاريخية هامة ترسخت في ذاكرة الشعب الجزائري، ولعل أبرزها جهاده ضد الإسبان لمدة طويلة تحت ظل الحكم العثماني.

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

قائمة المراجع

المؤلفات:

- ابن هطال التلمساني. (1966). رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي (الإصدار 1). القاهرة: دار الكتب.
- بوعزيز يحيى. (ب ت). مدينة وهران عبر التاريخ. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.
- خليفة حماش. (1988). العلاقة بين الأيالة الجزائرية والباب العالي. مصر.
- دودو أبو العيد. (1989). الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، 1830-1855 (الإصدار 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب
- الراشدي بن سحنون. (1973). الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. قسنطينة، الجزائر: مطبعة البعث.
- سعد الله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- سعيدوني نصر الدين. (2000). من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين) . بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- سعيدوني نصر الدين. (2012). النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830. الجزائر: دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.
- سعيدوني نصر الدين/ البوعبدلي المهدي. (1984). الجزائر في التاريخ، العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- شكري معمر رشيدة. (2006). العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات، (1671-1830). الجزائر
- صادق أحمد حاج. (1964). مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الصباغ محمد بن علي القلعي. (ب ت). مناقب زمزم الأبرار و معدن الأنوار سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار. الجزائر: المكتبة الوطنية
- لزغم فوزية. (ب ت). الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية. المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية.

محمد شباح ، لعباسي محمد

- محمد الطمار، (1983) الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج، ش و ن ت، الجزائر.
- المدني أحمد توفيق. (1986). محمد عثمان باشا، داي الجزائر، 1766-1791، سيرته وحروبه وأعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- المزاري بن عودة. (1990). طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر و إسبانيا في أواخر القرن التاسع عشر (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.
- هلابلي حنيفي. (2008). أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني (الإصدار 1). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
- يحيى بوعزيز. (1995). أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.
- يحيى بوعزيز، (2009)، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

الأطروحات:

- بن صحراوي كمال. (2012-2013). أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني. وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- بوجلال قدور، (1671-1830)، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات ، رسالة دكتوراة، جامعة وهران، 2016-2017
- بودريالة نور الدين. (2018-2019). العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830 مقارنة اجتماعية وسياسية. معسكر، الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
- بوسعيد عبد الرحمن. (2011-2012). الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر. وهران: جامعة وهران.
- دهماني توفيق. (2007-2008). الضرائب في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1792-1865م دراسة مقارنة. الجزائر: قسم التاريخ- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة بن يوسف بن خدة.
- سلطانة عابد. (2010-2011). التراتبية الاجتماعية ببائلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر، 1832-1847. وهران: كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية قسم التاريخ

المقالات:

امتيازات العلماء والأولياء في بايلك الغرب الجزائري خلال عهد الدايات 1671م - 1830م

- بلبروات بن عتو. (2011). اضواء على مدينة تلمسان خلال العهد العثماني. الحوار المتوسطي، الصفحات، 74، 82.
 - بوركبة محمد. (2003). جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي. المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 1، الصفحات 30، 49.
 - بوشناني محمد. (2011). دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الإسباني عام 1791م من خلال مصادر معاصرة. عصور الجديدة.
 - لعباسي محمد. (جوان، 2018). تعيينات آل الكتروسي في المناصب الدينية بمدينة مازونة على العهد العثماني من خلال الوثائق التاريخية. المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 13.
- المراجع الأجنبية:

- Bodin(m). (1930). Notes sur sidi M'HAMED BEN CHAA. B S G A Q, p. 77.
- Boudia merad abdelhamid .(1980) .la formation sociale Algérienne précoloniale, essai d'analyse théorique .Alger: o p u.
- boyer. (1966). contribution a l'étude politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger. paris.
- broslard ch .(1859) .les inscriptions arabes de tlemcen .revue africaine ،Fabre .(1902) .Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret- Aflou .oran: Société de Géographie et d'archéologie de la province d'Oran.